(ISSN: 2959-5436) مجلة جامعة سومر للعلوم الانسانية (SUJHUS)
عدد خاص بوقائع المؤتمر العلمي الدولي الثالث للعلوم الانسانية والتربوية والنفسية الذي اقامته جامعة سومر للفترة
من 24-25 نيسان 2024 /القسم الثالث/ محور التاريخ والجغرافية, الصفحات 105-121

أوضاع حلب السياسية في عهد ضيفة خاتون(634 هـ / 642 هـ)

م.م ريسان عبد الصاحب مركب الركابي[1]*
[1]وزارة التربية, المديرية العامة لتربية ذي قار, العراق

الملخص

ضيفة خاتون هي ابنة الملك العادل محمد نجم الدين أيوب وهو أخ السلطان صلاح الدين الأيوبي تطرق البحث إلى نشوء الدولة الأيوبية الذي يرجع نسبهم إلى أيوب ابن شاذي من قبيلة الروادية حكم الايوبيون مصر في عصر أيوب القائد العسكري الذي كان يعمل لخدة الدولة الزنكية ثم أصبح والياً على تكريت وبعدها واليا على دمشق, دخل اسد الدين شيركون وابنه صلاح الدين في خدمة الخليفة الفاطمي في مصر ثم تمكن من القضاء على الحكم الفاطمي بعد وفاة اخر خلفاء الفاطميين العاضد لدين الله سنة 567 هـ , قام صلاح الدين بتوحيد مصر وبلاد الشام وشمال ما بين النهرين في العراق ليكون دولة الايوبيين حرر صلاح الدين القدس من الصليبين معركة حطين سنة 583 هـ وفي عام 579 هـ وصل صلاح الدين الى مدينة حلب وضمها الى الدولة الايوبية ونصب عليها اخاه الملك العادل ثم عزله وعين عليها ابنه الظاهر غياث الدين غازي سنة 589 هـ الذي تزوج ابنة عمه ضيفة خاتون وبعد وفاة الظاهر انتقل الحكم إلى ابنه الصغير محمد ابن ضيفة خاتون التي أصبحت وصيةً عليه وبعد وفاة الأمير محمد ابن الملك الظاهر أصبحت ضيفة خاتون ملكة حلب سنة 634 هـ وقامة بتنظيم شؤون حلب على مختلف الأصعدة السياسية والاقتصادية والعملية وكما مبين خلال البحث .

الكلمات المفتاحية: أوضاع حلب , عهد , ضيفة خاتون

The political situation in Aleppo during the reign of Dhifa Khatun (634 AH - 642 AH)

Asst.Lecturer . Raysan Abdel-Saheb Al-Rikabi Compound[1]*
[1]Ministry of Educatio , General Directorate of Thi-Qar Education, Iraq

Abstract:

Dhaifa Khatun is the daughter of the just King Muhammad Najm al-Din Ayyub, who is the brother of Sultan Saladin al-Ayyubi. The research touched on the emergence of the Ayyubid state, whose lineage goes back to Ayyub Ibn Shadi from the Rawadiyya tribe. The Ayyubids ruled Egypt in the era of Ayyub, the military commander who worked for the servants of the Zengid state and then became governor of Tikrit and then governor of Damascus. Asad al-Din Shirkun and his son Saladin entered the service of the Fatimid Caliph in Egypt, then he was able to eliminate Fatimid rule after the death of the last Fatimid caliph, al-Adid li-Din Allah, in the year 567 AH. Saladin unified Egypt, the Levant, and northern Mesopotamia in Iraq to be the state of the Ayyubids. Saladin attended Jerusalem from the Crusaders, the Battle of Hattin in the year 583 AH. In the year 579 AH, Saladin arrived in the city of Aleppo and annexed it to the Ayyubid state. He installed his brother, King Al-Adil, over it, then deposed him and appointed his son al-Zahir Ghiyath al-Din Ghazi over it in the year 589 AH, who married his cousin. After the death of Al-Dahir, the rule passed to his young son, Muhammad ibn Daifa Khatun, who became his regent. After the death of Prince Muhammad, the son of King Al-Zahir, Daifa Khatun became Queen of Aleppo in the year 634 AH and organized the affairs of Aleppo on the various political, economic, and practical levels, as shown during the research. Dhifa Khatun died in the year 640 AH.

* **Email address: alrkabyalhajrysanbdalsahb@gmail.com**

Keywords: The situations of Aleppo , Ahed , Dhaifa Khatun

مقدمة :

الإسلامُ دينٌ سماويٌّ كرّم المرأةَ ووضعها جنبًا إلى جنبٍ مع الرّجل، ووردت في القرآن الكريم العديدُ من الآيات التي تؤكّد على إنصاف المرأة وتحريرها من ظلم الجاهلية وعاداتها، وكذلك حماها من تحكّم الرجل في مصيرها بغير وجهِ حقّ، فكرّم القرآنُ المرأةَ وأعطاها حقوقها بوصفها إنسانًا أوّلاً وأنثى ثانيًا، وكرّمها بقوله المؤمنات، الصالحات، الذاكرات، القانتات، وغير ذلك ممّا ورد عن تكريم المرأة.

ألغى الإسلام ما كان عليه كثيرٌ من الأمم من العَرب والعَجم من حرمانِ النساء من التملُّك والميراثِ أو التضييق عليهنّ في التصرُّف فيما يملكنَ، فأثبتَ لهنّ حقّ التملُّك بأنواعهِ المشروعة، فشرّع الله الوصيّة والإرثَ للنساءِ كما الرّجال، وكان للمرأةِ حقُّ البيعِ والشراءِ والإجارةِ والهبةِ والإعارةِ والوقفِ والصّدقةِ والكفالة...الخ.. وغير ذلكَ من العقود والأعمالِ، ويتبع ذلك حقوقُ الدفاع عن مالها كالدّفاع عن نفسها، بالتقاضي وغيره من الأعمال المشروعة.

لا يعرف التاريخ دينًا ولا نظامًا كرّم المرأة، وأعلى من مكانتها مثل الإسلام، لقد أكّد الوصيّة بها وجعلها تاليةً للوصيةِ بتوحيدِ اللهِ وعبادتهِ، وجعل برّها من أصولِ الفضائل، إنّ إلقاءَ نظرةٍ فاحصةٍ على ذلك التاريخ سيستعيدُ -بلا ريبٍ- شهاداتٍ موثّقةٍ لعددٍ وافرٍ من علماء الإسلام، وهم يشيدونَ بالمهاراتِ السياسيّةِ والإداريّةِ لنساءٍ انخرطنَ في إدارةِ الدُّول مشاركةً أو انفرادًا، فحقّقنَ نجاحاتٍ ارتقى بعضها إلى مستوىً تغيَّرَ معهُ تاريخُ دولٍ وأقاليمٍ، وتبدّلت مصائرُ أممٍ وشعوبٍ، على نحوِ ما يرويهِ هذا المقالُ.

السيّدة ضيفة خاتون التي ستكون مِحوَرَ هذا البحث كانت واحدةً من النساء المسلماتِ اللاتي وقفنَ جنبًا إلى جنبٍ مع الرَّجل، وانقذتْ مملكتها من الغزو، كما ساعدتْ مواطنيها ورفَعتْ عن كاهل العامّةِ من الناس الظُّلمَ والحِرمانَ، وساهمت في تطوّر مدينتها على مختلفِ الأصعدةِ فكانت مثالاً للمرأة المسلمةِ التي تستحقُّ التكريمَ والثّناءَ .

أهميّة البحث:

تُعد حلب أكبر مدينةٍ سوريّةٍ من حيث عدد السكان، اشتُهِرَتْ حلبُ الشّهباء بأنّها مدينةُ العراقةِ والعاصمةُ الاقتصاديّةُ لسوريا عبر تاريخها، وهي تقعُ في شمال غربِ سوريا على مقربةٍ من تركيا، تُعدُّ حلب إحدى أقدمِ المدنِ المأهولةِ في العالم.

بعد انتهاء الفترة الزنكيّين ضُمَّتْ حلبُ إلى الحكم الأيوبيّ على يدِ صلاح الدين الأيوبي، فأسّسَ الملك غازي بن صلاح الدين مملكةً قويّةً شهِدتْ خلالها مدينةُ حلب تظاهرةً علميةً فريدةً، فبَنَوْا البيمارستانات والمدارس، فمعظمُ المباني الأثريّةِ في حلب تعودُ للفترة الأيوبيّةِ، وخلال هذه الفترة وبعدها كان لزوجتهِ السيّدة ضيفة خاتون أثرًا واضحًا على تاريخِ حلب .

الهدف من البحث:

بعد وفاة الظاهر غازي نرى الملكةَ ضيفة خاتون الوصيّةَ على ابنها العزيز محمد تساهم في أمورِ الحكمِ، وتصبحُ هي الملكة الفعليّة. الملكة تنشرُ الازدهارَ وتخفِّضُ الضرائبَ وتنشّطُ التجارةَ والصّناعة، وتمدّ قساطلَ المياه.

وكان لها دَورٌ بارزٌ في إثراء الحركة العلميةِ في حلب، حيث اهتمّت بالعلم والعلماء، وقرّبت إليها أهلَ العلمِ والدينِ وبذلت لهم الكثير، فضلاً عن أنّها أنشأت مدرستين، تعادل كلٌّ منها جامعةً في وقتنا هذا، الأولى: اختصّت بالعلوم الدينيّة

الشرعيةِ على المذهب الشافعي وسمّيت بمدرسة الفردوس (أي الجنة) والثانية: مدرسة للعلوم الشرعية والعلوم الدنيوية المختلفة، وكانت تسمى الخانقاه وهي لفظةٌ فارسيةٌ معناها البيت، وسميت بخانقاه الفرافرة.

كما كانت تحصّنُ المدينةَ وتخوضُ معارك مظفّرةً ضدّ المغولِ والتتارِ، وفي داخلها حبٌّ عظيمٌ لهذه المدينةِ التي قدّمت لها ما استطاعت لازدهارها وتطويرها ونهوضِها المعماري والعلمي.

يُبرِزُ العملُ في نهايته دور المرأة العربيّةِ الحضاريّ وقدرتها الإدارية والعلميّة

والاجتماعية إلى جانب كونها زوجةً صالحةً وأمًّا مثاليّةً.

الدراسات السابقة:

رسالة ماجستير **حلب في العصر الأيوبي للباحث علي نجم عيسى،** جامعة الموصل كلية الآداب / قسم التأريخ تناول فيها الباحث تاريخ حلب تحت حكم الايوبيين، حتى زوال الحكم الأيوبي عن حلب.

بحثٌ بعنوان : **المدارس الأيوبيّة في حلب مدرسة الفردوس أنموذجًا / وليد عبد الرحمن باحث سوري** تناولَ فيها الباحثُ الحديثَ عن المدارس التي بُنيت في حلب في العهد الأيوبي، وتحدّث بالتفصيل عن بناء مدرسةِ الفردوس من ناحيةٍ أثريّةٍ وتاريخيّةٍ.

المبحث الأوّل

1- من هُمُ الأيوبيّون :

الأيوبيون هم سلالةٌ حاكمةٌ مسلمةٌ ذات أصولٍ كرديّةٍ، وصلت إلى الحكم في مِصرَ وبلادِ الشام وبعضِ أجزاءِ العراق مثل سنجار، وأيضًا في كلٍّ من الحجاز واليمن، وذلك بين عامي 567 هـ - 659 هـ. ويرجِعُ الأيوبيون في نسبهم إلى أيوب بن شاذي من قبيلة الروَّادية، وقد كان الظهور الأوّلُ لهذه العائلةِ الحاكمة في مِصر في مدينة القاهرة تحديدًا، على يدِ مؤسّسها أيوب، أيوب هذا كان قائدًا عسكريًّا يعمل في خدمة الدولة الزّنكية، ففي البداية ظهرَ أمرهُ حين كان واليًا على تكريت، و بعد ذلك أصبحَ واليًا على دمشق. دخل أخوه أسد الدين شيركوه، وابنه صلاح الدين في خدمة الحكام الفاطميين في مصر . و تدرّج صلاح الدين في المناصب في الدولة الفاطميّة حتى أصبح سنة 565 هـ وزيرًا لآخر خلفاء الفاطميين . وفي النهاية تمكن من القضاء على حكم الدولة الفاطمية سنة 567 هـ ، وبدأ بتوحيدِ مصر و بلاد الشام تحت حكمه، ووصل نفوذه إلى مناطق شمال بلاد ما بين النهرين (العراق)، ثم قاد الحرب ضدّ الصليبيين وتمكّن من تحرير بيت المقدس، عام 583 هـ بعد معركة حطين. وقد ساهم نور الدين الزنكي في صعود الأسرة الأيوبية.[1]

2- سيطرة الأيوبيين على حلب :

في عام ٥٧٨ هـ اتّجه صلاح الدين الأيوبي إلى الشام قادماً من مصر وسيطرَ على العديد من المناطق وضمّها إلى حكمه من تلك المناطق التي تدخلت تحت سيطرة الأيوبيين تل باشر[2] وعينتاب[3] حتى وصل إلى مدينة حلب في عام ٥٧٩ هـ، وهو على رأس جيشٍ جرّار وكان حينذاك صاحب حلب يدعى عماد الدين بن مودود[4]. وعلم أنّه لا قِبَل له ولجيشه في مواجهة قوات صلاح الدين الايوبي، فأرسل له رسولاً يطلب منه أن يعيد له بلاده سنجار [5] ويسلّمه حلب دون قتال . وافق

صلاح الدين على هذا الاقتراح ودخل الأيوبيون حلب[6] . وبعد أن سيطر صلاح الدين على حارم وإعزاز وكافّةِ مناطق حلب، عيّن على حلب ولدهُ الملك الظاهر وغادرها، بعد فترةً من الزمن لا تتجاوز الأشهر المعدودة طلب الملكُ العادل أخ السلطان صلاح الدين منه أن يعطيه ولايةَ حلب فوافق على ذلك، واستدعى ولده الظاهر إلى دمشق وخرجَ الظاهر بن صلاح الدين من حلب حزينًا لأنّه كان قد أحبّ تلك المدينة لكن لا سبيل للبقاء فخرج وتسلّمها عمّهُ الملك العادل عام ٥٨٢ هـ ، ولكن لم يلبث السلطان صلاح الدين إلا أن أخذها من أخيه وأعطاه بدلاً عنها حرّان [7]والرّها، وأعاد ابنه الظاهر إلى ولاية حلب، وفي عام ٥٨٩ ه توفي السلطان صلاح الدين الأيوبي بدمشق، وكان ولده البكر صاحب دمشق يدعى الملك الأفضل نور الدين علي، وصاحب مصر ابنه العزيز عثمان، وصاحب حلب الملك الظاهر الذي استقرّ بحلب واسمه الملك الظاهر غياث الدين غازي .[8] بقي الملك غازي في الحكم مدّة ثلاثين عامًا . تزوّج الملك غازي من غازيّة خاتون ابنة عمه الملك العادل، ولما توفّيت تزوج أختها ضيفة خاتون التي كانت تبلغ من العمر آنذاك خمسًا وعشرين عاماً .

فمن هي ضيفة خاتون التي كان لها بصمةٌ واضحةٌ على تاريخ حلب في العصر الأيوبي، وبقيت في بعض أو معظم ملامح عصرها ماثلةً للعيان حتى أيامنا هذه .

3- ضيفة خاتون (ترجمة شخصية)

اسمها: هي ضيفة خاتون بنت الملك العادل محمد بن نجم الدين أيوب، وهو أخُ السلطان الأيوبي صلاح الدين، كانت ولادتها نحو عام ٥٨١ هـ وقد ولدت في حلب عندما كان والدها الملك العادل صاحب حلب، وعيّن عليها من قبل أخيه صلاح الدين الذي أخذها منه بعد ذلك وأعادها إلى ولده الظاهر (غازي) .

عندما ولدت ضيفة خاتون في قلعة حلب وفي يوم ولادتها كان ضيفًا قد حلّ على الملك العادل لذلك قرّر تسميتها ضيفة حسب بعض الروايات، ولكن هناك مؤرّخون آخرونَ يذكرون أنّ اسمها هو ضيفة خاتون وليس ضيفة [9] ، وكان لضيفة خاتون عددٌ كبيرٌ من الإخوة وكلهم كانوا من الملوك فهم المعظم عيسى بن العادل -الكامل ناصر الدين محمد- الأشرف موسى الصالح اسماعيل . وبرز إخوتها على مسرح الأحداث السياسية، وأما أخوتها من الإناث فكانت أختها غازية خاتون وملكة خاتون أشهرهن .

زواجها : تزوّجت ضيفة خاتون من الملك الظاهر غازي صاحب حلب بعد وفاة زوجته الأولى غازية خاتون وكانت أختها، وذلك عام 610 هـ ، كانت أختها غازية قد أنجبت للظاهر غازي ولدًا اسمه يوسف لكنّه توفي وهو صغيرٌ، وتوفيت هي بعده بزمنٍ قصيرٍ، وفي هذه الفترة كانت العلاقة التي تربط الظاهر غازي مع عمّه الملك العادل سيئةً ومضطربةً بسبب قيام الملك العادل بتجهيز حملة إلى بلاد الجزيرة، فرغب الظاهر غازي في مصالحة عمّهِ الملك العادل، وأرسل له القاضي بهاء الدين بن شداد رسولاً وكلّفه مهمة إيصال رغبة الملك الظاهر غازي بالزواج من ابنة عمه ضيفة خاتون، وكانت مهمّةُ هذا الرسول استعطافُ الملك العادل واستمالتهُ إلى الظاهر غازي والموافقة على تزويجه بابنته ضيفة خاتون، وفعلاً نجح هذا الرسول في مساعيه ووافق الملك العادل على تزويج ابنته ضيفة خاتون إلى الظاهر غازي ابن أخيه ملك حلب. [10]

هكذا دخلت ضيفة خاتون إلى حلب بموكبٍ عظيم واستقبلها الظاهر غازي مع كبار رجالات دولته، ويذكر المؤرخون أنّ يوم دخولها إلى حلب كان يومًا مشهودًا فقد دخلت ضيفة خاتون إلى حلب مع الكثير من النفائس والجواري واستقبلها الظاهر غازي بأكثر منها من المجوهرات والمصنوعات النفيسة، والتي كانت تساوي مبالغًا هائلةً في ذلك الزمن إضافةً

إلى مختلف أنواع الأقمشة ومجموعة من الجواري والخدم [11]. بعد زواج ضيفة خاتون من ابنه عمها الظاهر غازي أنجبت ولدا اسمته محمد .

وفاة الظاهر غازي : عاشت ضيفة خاتون مع زوجها الملك غازي مدة قصيرة لم تتجاوز الثلاث سنوات ليُصاب بعدها بمرض ويتوفى [12] وكان يبلغ من العمر آنذاك أربع وأربعون عاما من العمر .

حكم حلب منها ثلاثون عامًا وكان قبل وفاته قد أوصى أن يأخذ الحكم مكانه ابنه العزيز محمد ابن ضيفة خاتون بالرغم من أنّ العزيز محمد لم يكن الولد الوحيد للظاهر غازي فقد كان له ولدٌ آخر من زوجةٍ أخرى لم تذكر لنا المصادر اسمها، وكان هذا الولد يدعى الصالح أحمد، ويقال أنّ الظاهر غازي أعطى ولاية العهد من بعده لابنه العزيز محمد وحرم منها ابنه الصالح أحمد إكرامًا لعمّه الملك العادل على رواية بعض المؤرخين [13] .في حين يذكر مؤرخون آخرون أنّه عهِد بولاية العهد لابنه العزيز محمد لأنّه حفيد الملك العادل، وبالتالي لن ينازعه الملك بعد وفاة أبيه وستبقى حلب تحت سلطته وأنّه لو أعطى ولاية العهد لابنه الصالح أحمد فربما قام الملك العادل بانتزاع حلب منه وضمها إلى أملاكه [14].

وتذكر الروايات ما يؤيّد الرأي الثاني من أن الملك الظاهر قبل وفاته أرسل إلى عمّه الملك العادل يطلب منه أن يعاهده بأن لا ينازع ابنه ملكه على حلب [15].

إضافةً إلى هذا أوصى الملك الظاهر بأن تكون الوصاية على ولده العزيز محمد للأمير شهاب الدين الطواشي، واستلم الطواشي أمور مملكة حلب حتى عام ٦٢٩ هـ، في هذا العام استلم العزيز محمد حكم حلب بصفة رسمية بدون مجلس وصاية، واستمرّ حاكمًا لحلب حتى وفاته عام ٦٣٤ هـ وكان عمره صغير لا يتجاوز أربع وعشرين عاماً، ويقال أنّه توفي لأنّه اغتسل بماءٍ بارد فأصيب بالحمى وتوفي في ريعان شبابه[16].

خلال هذه الفترة أي فترة الوصاية على ابنها العزيز محمد، لم يكن للسيدة ضيفة خاتون أيُّ نشاطٍ سياسي حتى عندما انتهت مرحلة الوصاية وتقلد ابنها مهام الحكم لم يكن لها أيضًا أيُّ نشاطٍ سياسي في مملكة حلب، هذا على رأي أغلب المؤرخين إلا أنّ كلّاً من الذهبي وابن العميد خالفا المؤرخين في ذلك، فابن العميد[17] ذكر أن ضيفة خاتون في سنة ٦١٣ هـ عندما توفي الملك الظاهر غازي صاحب حلب ابن صلاح الدين الايوبي فإنّ زوجته ضيفة خاتون سيّرت أمور مملكة حلب لأنّ ابنها العزيز محمد كان صغيراً وساعدها في ذلك شهاب الدين الخادم أتابكية [18] وعددًا من أمراء مملكة حلب، وفي حديث ابن العميد عن وفاة السيدة ضيفة خاتون، قال : في سنة ٦٤٠ هـ توفيت صاحبة حلب السيدة ضيفة خاتون ابنة الملك العادل وقد تدبّرت شؤون مملكة حلب مرتين خلال فترة حياتها، كانت الفترة الأولى عندما توفي زوجها وترك لها ولدًا قاصرًا فأدارت شؤون المملكة مع عددٍ من رجالات البلاط الأيوبي، أمّا المرحلة الثانية التي يذكرها ابن العميد فهي مرحلة وصايتها على حفيدها بعد وفاة ابنها العزيز محمد، وأشار أيضًا المؤرّخ الآخر وهو الذهبي[19] أنّ ضيفة خاتون كانت مديرة الأمور في مملكة حلب حتى اشتدّ عود ولدها العزيز محمد [20] ، ولكن على الرغم من هذا الذي ذكره المؤرخان إلا أنّهما لم يتبعا ذلك بأية تفاصيلٍ أو أحداثٍ تاريخيّةٍ ساهمت فيها السيدة ضيفة خاتون تؤكّد دورها السياسي في إدارة شؤون مملكة حلب في ذلك الوقت، وابن العميد حتى نكون منصفين اكتفى بذكر حادثةٍ واحدةٍ هي أنّ السيدة ضيفة خاتون في إحدى الحوادث استنجدت بأخيها الملك الأشرف في عام ٦١٥ هـ، حتى تواجه خطر السلاجقة الذين أرادوا آنذاك الاستيلاء على حلب، ويذكر أنّ أخاها الملك الأشرف مدّ لها يد العون وأنقذ المدينة من السلاجقة [21]. أمّا بالنسبة لباقي المؤرخين الذين كتبوا عن تاريخ الأيوبيين بالتفصيل فإنّهم لا يذكرون هذه الأحداث وكل ما ذكروه عن السيدة ضيفة خاتون أنّها ساعدت

الأتابك شهاب الدين الطوشي في ترتيب الأمور في المملكة قبل الإعلان عن وفاة السلطان الظاهر غازي [22]. ومن الأعمال الأخرى التي تذكرها المصادر التي تناولت تاريخ الأيوبيين للسيدة ضيفة خاتون هي إعادة إقبال الشرابي الحبشي خادمها لخدمتها بعد أن كان زوجها الملك الظاهر غازي قد سجنه في إحدى القلاع، وبقي فيها حتى وفاة الملك فأطلق الوصي على ولي العهد الطواشي سراح إقبال الشرابي، ولكن بشرط مغادرته لقلعة حلب عندها حاولت السيدة ضيفة خاتون إعادته إلى خدمتها ولم تتمكن من إتمام ذلك إلا بعد أن تسلّم ابنها العزيز محمد تقاليد الحكم بشكلٍ رسمي عام ٦٢٩ هـ، وبعد وفاة ابنها العزيز محمد وتسلُّم الوصاية على حفيدها الناصر. [23] كما ذكرت المصادر أيضًا خبر قيام ضيفة خاتون بعقد قران ابنها العزيز محمد على ابنة اخيها الملك الكامل فاطمة خاتون تنفيذًا لرغبة والده قبل وفاته بإتمامِ هذا الزواج [24] .

وإنشائها للمدارس وأشهرها مدرسة الفردوس، ويمكننا القول أنّ الدور الأساسي لضيفة خاتون في إدارة شؤون مملكة حلب بدأ بشكلٍ رسميّ عام ٢٣٤ هـ .

المبحث الثاني

مملكة حلب تحت حكم ضيفة خاتون

في عام ٦٣٤ هـ توفي الملك العزيز ابن ضيفة خاتون التي كانت تبلغ حينذاك الخمسين من عمرها، وكان حفيدها ابن الملك العزيز يبلغ من العمر حين وفاة والده حوالي السبع سنوات، بدأت مرحلة سلطة ضيفة خاتون منذ ذلك الحين وبدأت تحكم حلب حكم السلاطين، وقامت بأمورٍ أحسن قيامٍ على مختلف الأصعدة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعملية.

1.سياسياً: بعد أن تولّت ضيفة خاتون شؤون الحكم في حلب بدأت في تسوية أوضاع حلب السياسية مع الممالك المجاورة لها لذلك بدأت بعقد التحالفات مع ملوك زمانها ومنهم الملك الأشرف صاحب دمشق، وصاحب حمص الذي كان يسمى الملك المجاهد، والملك المظفر صاحب حماه، هؤلاء عقدوا اتفاقًا فيما بينهم للخروج عن سلطة الملك الكامل على أن يجعلوه حاكمًا على مصر فقط، وأرسلوا الملكة ضيفة خاتون وأطلعوها على ما تم الاتفاق عليه فوافقت وتحالفت معهم [25].

ونجم عن هذا الاتفاق الذي وافقهم عليه ملك السلاجقة أيضًا أن أرسلوا إلى الملك الكامل في مصر يخبرونه باتفاقهم وأنّهم لا يريدون منه الخروج خارج مصر. لمّا رأى الملك الكامل ما آلت إليه الأمور ووجد أن الجميع متآمرٌ ضدّه ومتفقٌ عليه وافقهم ولكن بشرط أن لا يتعرضوا له في مصر بأذىً، وأن لا يقصدوا مصر أبدًا، وتمّ الاتفاق على هذا الأساس بين الطرفين[26]، والملك الكامل هو أخو ضيفة خاتون، ويقول بعض المؤرخين أنّ ضيفة خاتون وقفت هذا الموقف من أخيها الملك الكامل لأنّه كان قد رفض وصايتها على حفيدها وحكمها لمدينة حلب، ممّا أثار حفيظتها واعتبرت هذا النصر من أخيها تدخلاً في الشؤون الداخلية لمملكة حلب وقطعت علاقة حلب بمصر، أي قاطعت أخاها الملك الكامل وعقدت اتفاقًا بالمقابل مع أخيها الملك الأشرف صاحب دمشق لتقف في وجه أطماع وتهديدات أخيها الملك الكامل [27]، ولكنّ هذا التحالف لم يُكتب له النجاح بسبب وفاة الملك الأشرف صاحب دمشق عام ٦٣٥ هـ، استغلَّ الملك الكامل هذا الحدث وزحف بجيشه من مصر إلى بلاد الشام، فسيطرَ على دمشق وعزلَ عن حكمها الملك الصالح اسماعيل بعد وفاة الملك الأشرف [28] بعد سيطرته على دمشق، تابع الملك الكامل طريقه نحو حلب إلا أنّه توفي قبل أن يصل إليها ولم يكن لشيءٍ أن يوقفه إلا إرادة الله سبحانه وتعالى . هنا استغلت الملكة ضيفة خاتون الظرف والفرصة السانحة لها لتأديب أعدائها ومنهم صاحب حماه الملك المظفر بن الملك المنصور، وذلك لأنّه قدّم المساعدة للملك الكامل لغزو حلب واستخلاصها من ضيفة خاتون،

واستطاعت السيطرة على منطقة معرة النعمان وضمّها إلى أملاكها في حلب [29]. هكذا نجد أنّ الملكة ضيفة خاتون اعتمدت سياسةً مبدؤها التوازن مع الجميع خصوصًا أطراف وحكام الدولة الأيوبية بمختلف ممالكها وإماراتها في مصر وبلاد الشام لذلك أصبحت بحقّ عماد العائلة الأيوبية خصوصًا بعد أن ارسل لها ابن اخيها الملك الصالح نجم الدين ايوب ابن الملك الكامل الذي تسلّم حكم مصر بعد وفاة أبيه رسالةً قدم لها الطاعة، وأبدى استعداده لتسليم مصر لها لتصبح ضمن أملاكها وأخبرها أنّه مستعدٌّ لتسليم مصر إذا أرسلت نائبًا عنها ليستلمها [30] وحذى حذوه في ذلك حاكم دمشق الجواد بن مودود، وأعلن ولاءَه لها وامتثاله لأوامرها أي أنه أصبح تابعا لها .

بقيت ضيفة خاتون في منصبها في حكم حلب حتى وفاتها عام ٦٤٠ هـ ودفنت بقلعة حلب [31].

- **المصاهرات السياسية التي عقدتها الملكة ضيفة خاتون:**

كانت الملكة خاتون تدركُ آنذاك أهميّة عقد مصاهراتٍ سياسيةٍ مع ملوكِ وحكام الممالك المتعددة، ومن المعروف أنّ المصاهرات السياسية معروفةٌ منذ التاريخ القديم للممالك والدول، وكانت إحدى أهم الوسائل الدبلوماسية المتّبعة لتطوير العلاقات السياسية بين طرفين ما . فقامت الملكة ضيفة خاتون من أجل عقد تحالفٍ مع الملك السلجوقي [32] الذي كان يمثل آنذاك قوة لا يُستهان بها بتزويجه من حفيدتها أخت الملك الناصر، وفي نفس الوقت زوّجت حفيدها الملك الناصر من أختِ ملك السلاجقة، وبذلك تكون قد عقدت حلفًا دبلوماسيًا مع السلاجقة، وأمِنَتْ جانبهم، وفي أخبار هذا الزواج يروي المؤرخون أنّه تمّ عقده في دار السلطان في قلعة دمشق عقد قران الأميرة غازية خاتون على ملك السلاجقة، ويذكرُ ابن العديم[33] في كتابه زبدة الطلب في تاريخ حلب أنّه هو من تولى عقد النكاح بسبب صغر سنّ الزوجة، وأنّ عقد النكاح تمّ على المذهب الحنفي مذهب أبي حنيفة النعمان، وكان صداقها خمسين ألف دينار وأنّهم نثروا الذهب على الأرض عندما تمّ عقد القران [34]، ويتابع حديثه أنّه بعد ذلك تمّ إرساله إلى بلاد الروم من أجل أن يعقد عقد زواج الملك الناصر على أختِ ملك السلاجقة ويقول، وصلنا إلى قيصرية وحضر معنا قاضي بلدة قيصرية والشهود الذين سيشهدون على عقدِ القران والمهر حُدّد بمبلغٍ قدرهُ خمسون ألف دينارٍ سلطانية، ويقول أنّه في ذلك اليوم وُزّعت الأموال والمجوهرات على الناس، و أنه هو نفسه وصَلَهُ في ذلك اليوم حوالي ألف دينار، وبعد أن تمّت الأمور على خير يقول ابن النديم أنّه أرسل الرسل إلى حلب ليبشّر الملكة ضيفة خاتون بأنّ الأمور تمّت على ما يرام . فأقيمت الأفراح ووُزّعت الخلع والهدايا على المبشرين [35].

- **ضيفة خاتون والمغول :**

في عام ٦١٦ هـ غزا جنكيز خان[36] الملك المغولي العالم الإسلامي واتجه من شرق آسيا باتجاه الدولة العربية الإسلامية قاصدًا السيطرة على أملاك الخلافة العباسية، بل حتى الوصول إلى بغداد نفسها هاجم المغول في طريقهم الدولة الخوارزمية[37] التي نشأت في بلاد خوارزم وما وراء النهر، وأنهَوا حكم الخوارزميين الذين كانوا يتبعون اسميًا للسلطة العباسية في بغداد .

في طريقهم إلى المشرق ارتكب المغول أفظع الجرائم أحرقوا المدن وقتلوا النساء والأطفال وخرّبوا المحاصيل الزراعية وسمموا آبار المياه، وقتلوا العلماء ورجال الدين، وهدموا المساجد وأبيدت مدنٌ وقرىً بأكملها، وعانى المسلمون معاناةً كبيرةً إثر الغزو المغولي لبلادهم، هذا الاجتياح العاصف للبلاد الإسلامية بقيادة جنكيز خان المدمر توقّف بوفاته عام ٦٢٤ هـ

فانسحب المغول عائدين إلى بلادهم ليعاودوا غزوهم للبلاد الإسلامية بعد حوالي أربع سنوات وقضَوا على ما بقي من الدولة الخوارزمية والدويلات التركية وتابعوا باتجاه بغداد وبلاد الشام [38] .

وعندما هاجم المغول حلب، (هناك اختلافٌ بين المؤرخين حول من هاجم حلب في تلك الفترة هل هم المغول أم الخوارزميون، بعض المؤرخين يذكر أنّ ضيفة خاتون ردّت هجوم الخوارزميين في حين أنّ الأسماء التي يذكرها مؤرخون آخرون لقادة الهجوم توحي أنهم من المغول مثل:(صاروخان، بردي خان، كشلوخان) فهذه اسماءٌ مغوليّةٌ وقد أوردها ابن العديم في تاريخه وهو من معاصري تلك الفترة وربما مان يقصد بهؤلاء المغول وليس الخوارزميين [39] . ويمكننا أن نقول هنا أنّ الخوارزميين أثناء الهجوم المغولي الثاني على البلاد الإسلامية كان همّهم الحفاظ على دولتهم وكيانها وليس التوسُّع لذلك على الأغلب أنّ الذين هاجموا حلب في زمن ضيفة خاتون هم المغول وليس الخوارزميون .

على الرغم من الاختلاف في الآراء بين من المهاجم لحلب الخوارزميين أم المغول، فإنّ النقطة التي تعنينا في هذا البحث أنّ نُبرِز دورَ الملكة ضيفة خاتون في الدفاع عن مملكتها وكيف تصرّفت لحماية حلب من الغزو .

بدأ الغزاة بقلعة جعبر وهاجموها ونهبوها وخرج من فيها إلى حلب وإلى منبج، دافع جيش حلب عن القلعة إلا أنّ جيش حلب في تلك الفترة كان مشتّتًا فبعض فِرَقِهِ ذهبت لنجدة ملك السلاجقة والفِرق الأخرى موزّعةٌ بين قلعة جعبر وقلاع شيزر وحارم وغيرها[40] .

بعد قلعة جعبر اتجه الغزاة نحو حلب وانضمّ إليهم في مسيرهم لغزو حلب مجموعةٌ من الأعراب بزعامة أحد أفرادهم يسمى علي بن حديثه وقفوا إلى جانب الغزاة ضدّ أهل حلب، حجتهم في ذلك أنّ الملكة ضيفة خاتون قد حالفت السلاجقة الأتراك . كان جيش الغزاة آنذاك تعداده حوالي اثني عشرة ألف مقاتلٍ أو يزيد بينما كان تعداد جيش حلب لا يزيد عن ألف وخمسمائة فارسٍ، واستعد الطرفان للحرب[41] .

وفي عام ٦٣٨ التقى الطرفان وجهًا لوجه ويقال أنّ جيش حلب استطاع أن يؤثر تأثيراً مباشراً في صفوف الغزاة الذين عادوا لتنظيم صفوفهم ومعاودة القتال، وفعلاً عاودوا الهجوم وكان علي بن حديثه زعيم الأعراب بمن معه قد أحاط بجيش حلب فانهزموا وقتل منهم مقتلةٌ كبيرة، وأُسِرَ عددٌ كبيرٌ وقُبِضَ على قائد الجيش الحلبي الملك المعظم الذي أصيبَ في المعركة إصاباتٍ بالغة، كذلك قبض الغزاة على جميع الأمراء المشاركين في المعركة من الجيش الحلبي وحتى الجنود لم يسلم منهم إلا عددٌ قليل كما هم الغزاة مناطق القرى والنواحي التابعة لحلب وقتلوا ونهبوا وارتكبوا المجازر مما يعجز القلم عن ذكرها من كثرة الأعمال الوحشية واللاأخلاقية التي ارتكبها هؤلاء بحقّ أهل حلب[42]. هنا يمكننا من خلال تلك الأعمال الوحشية التي تمّ ارتكابها في هذه الحرب أن ترجّح الرأي القائل بأنّ الغزاة كانوا من المغول فأعمال المغول مشهورةٌ بوحشيتها وعنفها الذي لا يطاق، جميع الغزاة في التاريخ يرتكبون المجازر ولكنّ المغول تفوّقوا على الجميع في الأشكال البشعة لمجازرهم .

هنا قامت الملكة ضيفة خاتون بإرسال رسولٍ من قبلها إلى دمشق يطلب النجدة لإنقاذ حلب من هذا الغزو المدمر، وكان صاحب حلب حينها الملك الصالح فأرسل إليها فرقةً من الجيش لنجدة الجيش الحلبي، كذلك فعل الملك المنصور صاحب حمص الذي ما أن سمع بما فعل الغزاة بحلب حتى سيّر جيشًا لنجدتها، ويقال أنّه كان على رأس الجيش الذاهب لنجدة أهل حلب [43].

وصل الخبر إلى الغزاة بتجميع قوى بلاد الشام لمواجهتهم فقرروا المسير إلى حلب قبل تجميع المدافعين عنها، في هذا الوقت أيضًا قامت ضيفة خاتون بتصرفٍ ذكي حيث استمالت زعيم الأعراب الجديد ظاهر بن غنام بعد أن ترك الأعراب الحلف مع الغزاة وزوجته بعض جواريها، كما أعطته وأجرت له الأرزاق وأقطعته بعض الأراضي حتى ترضيه. استمرّت المعارك بين الطرفين وعندما التقى الطرفان انهزم الغزاة وسار جيش حلب وأنصاره خلفهم وهم منهزمون حتى حلول الليل، فعاد جيش حلب وكان الغزاة وصلوا إلى حران فنهبوها، ثم عاد جيش حلب ولاحقهم حتى الخابور ونزل الغزاة على الفرات وجاءت السيل في الليل فغرق منهم عددٌ كبير[44].

وصلت بشائر النصر إلى حلب وسُرّت الملكة ضيفة خاتون وأُقيمت الأفراح ورفعت الأعلام في جميع أنحاء حلب التي كانت تحت حكم الملكة ضيفة خاتون .

أما الصليبيون فقد كان أيضًا لضيفة خاتون دورٌ في التصدي للأطماع الصليبية في المشرق الإسلامي، وكانت حلب في عهد الأيوبيين من أهمّ المدن في بلاد الشام التي كان لها دورٌ كبيرٌ في التصدي للصليبيين[45] .

بشكلٍ عام كانت نساء الدولة الأيوبية يشاركن في حكم الممالك والإمارات جنبًا إلى جنبٍ مع الرجال، ويذكر الإمام الذهبي في كتابه تاريخ الاسلام، أنّ السيدة ضيفة خاتون تمتّعت بمكانةٍ عاليةٍ داخل الأسرة الأيوبية الحاكمة، واستمرّت نساء الدولة الأيوبية في المشاركة في الحياة السياسية حتى نهايتها .

وتعدّ ضيفة خاتون من الملكات اللواتي اجحفت الكتب والمصادر الإسلامية في حقهنّ وأغفلت ذكرهنّ في الكثير من المواضع، وهذا يعود لاعتباراتٍ عدّة أهمّها أنّ بعض هؤلاء الكتّاب أو المدونين للتاريخ والأحداث لا يحبذون ذكر المرأة في كتاباتهم أو يسوؤهم أن تحكمهم امرأة، فضيفة خاتون على الرغم من أنها حكمت فترة بسيطة نسبيًا في تاريخ حلب إلا أنّ تلك الست سنوات اللاتي حكمت بهن تركت فيهنّ بصمةً واضحةً على مدينة حلب ارتبطت بتاريخ حلب إلى يومنا هذا، ولا يستطيع أحدٌ أن ينكر الدور الذي قامت به المرأة في الأسرة الأيوبية على وجه التحديد على مختلف الأصعدة، لذلك سعى بعض المؤرخين اليوم والمؤمنين بالدور العظيم للمرأة المسلمة في تاريخ بلادها للبحث في متون المصادر والمؤلّفات والكتب من أجل العثور ولو على شذراتٍ بسيطةٍ عن بعض الأعمال التي قامت بها المرأة المسلمة بشكلٍ عام والمرأة الأيوبية بشكلٍ خاص في تاريخ بلاد الشام تحديدًا، وهذا ينطبق على السيدة ضيفة خاتون التي قامت بالكثير، ومن الأعمال والمهام لحماية مملكة حلب أعمال لا يقوم بها حتى الرجال، ونجحت بأن حافظت على مُلك الأيوبيين في حلب وحمت عرش حفيدها حتى تسلمه عرشه وساعدته بعد ذلك في استمرار حكمه إلا أنّ الزمن لم يمهلها الكثير .

2. **من الناحية الاجتماعية والاقتصادية:** حظيت ضيفة خاتون بمكانة رفيعةٍ عند أهل حلب وكان لها شعبيةٌ واسعةٌ فقد خفّفت الكثير من الضرائب عن السكان، حتى أنّها ألغت قسمًا كبيرًا منها وأسست الكثير من دور الرعاية للفقراء والأيتام في حلب، وقدمت الدعم للأعمال الخيرية إضافة إلى مساهمتها بها، كانت ضيفة خاتون امرأة هادئةً تتحلى بالأخلاق متدينة ذات عقلٍ راجحٍ، وفي نفس الوقت كانت حكيمةً وحازمةً في قراراتها ، لذلك كانت بعيدة عن ظلم الرعية والجور عليهم، فكانت عادلةً ولم يكن يلجأ إليها أيٌّ من أهل حلب تعرّض للظلم إلا وساعدته وأنصفته، لذلك لقبوها بالملكة الرحيمة، وكانت الملكة ضيفة خاتون قد سبقت العثمانيين بتأسيس ما سمّي فيما بعد في العصر العثماني باسم التكايا ،وعُرفَ في العصر الأيوبي باسم (خانقاه)[46]لتقديم المعونات والخدمات الإنسانية للفقراء من عامة المجتمع وللوافدين إلى حلب[47]

3. من الناحية الثقافية والعلمية : حظيت الناحية الثقافية والفكرية بالدولة الإسلامية بشكلٍ عام والدولية الأيوبية بشكلٍ خاص باهتمام الحكام ورجال الدين على حد سواء لقوله تعالى : "اقرأ باسم ربك الذي خلق [48] "وعدد كبير آخر من الذكر الحكيم دعا إلى سبيل العلم والمعرفة، وكذلك وردت الكثير من الأحاديث عن الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن أهمية العلم وضرورة السعي إليه، وقد تفوق العرب المسلمون على غيرهم من الأمم في مختلف مجالات العلوم . لم تكن ضيفة خاتون حاكمة حلب بعيدةً عن الاهتمام بالواقع الثقافي والعلمي في بلادها بل على العكس اهتمت اهتمامًا كبيرًا بهذه الناحية وبنت العديد من المنشآت العمرانية في حلب التي تشعبت وظائفها بين وظائف اجتماعية واقتصادية وثقافية ومنها المدارس، ولأنها سميت مدارس فسوف ندرجها في بحث الناحية الفكرية، أهمّ المدارس التي أنشأت في عهد ضيفة خاتون كانت مدرسة الفردوس .

- **مدرسة الفردوس** : ما تزال آثارها قائمة إلى اليوم وهي أضخم وأهمُّ المباني العمرانية التي تعود للعصر الأيوبي، بنيت هذه المدرسة عام ٦٣٣ هـ أنشأتها السيدة ضيفة خاتون في منطقة أو محلة تسمى محلة الفردوس أو منطقة الفردوس [49] كان بناء المدرسة كبيراً جداً لذلك تم تقسيمها إلى عدة أقسام مدرسة، رباط، تربة أو مدفن، و عينت للعمل فيها عددًا من فقهاء الدين الإسلامي، أوقفت ضيفة خاتون للمدرسة الأوقاف و منها قرية تسمى كفر زيتا، و هي منطقة تتبع محافظة حماه في سوريا اليوم، و كذلك أوقفت ثلثي إيراد طاحونة كفر زيتا[50] للمدرسة، تتألف هذه المدرسة من عدة أقسام هي :

1. البوابة الرئيسية و المدخل : كان للمدرسة أربعة أبواب، الباب الرئيسي منها كان واقعاً في الجهة الشرقية[51]

2. صحن المدرسة : تعد مدرسة الفردوس من أكبر المدارس التي وجدت في حلب في العصر الأيوبي بنيت على شكل مستطيل ٤٤ م - ٥٥ م

وتقدر مساحتها المفتوحة بحوالي ١٣,٠٩ م على ١٧,٤٥ م هذا الصحن كان محاط من ثلاث جهات الشرقية والغربية والجنوبية برواق مسقوف واجهته الشمالية فيقع فيها إيوان واسع يفتح مباشرة على الصحن .

3. أجنحة السكن: في مدرسة الفردوس كانت الفرق المخصصة للسكن بعيدة إلى حدٍّ ما عن بناء المدرسة الرئيسي وعزلت تلك الفرق، وتمّ بناء كتلتين معماريتين مستقلتين أهمها يضمُّ غرف السكن ومداخل و دهاليز ووحدات للخدمات المختلفة وكان يختلف عن القطاع الجنوبي، وهذا يعود لوظيفة وتطلبات كلّ قطاع يظهر طريقة البناء الذي بنيت فيه المدرسة الاهتمام والعناية التي أولاها البناؤون لهذه المدرسة العلاقة بين النسب والعلاقان الهندسية بين أبعاد المبنى فكان الداخل إلى المدرسة يدخل عبر بوابة تنحرف عن محور الجدار الشرقي وتنتهي إلى ممر طويل يلتف يسارا ليصل نحو فسحة سماوية، هذه الفسحة السماوية كانت تضم بحرة لها حنيات في الزوايا الداخلية وهذا هو الطراز .الذي كان سائدًا آنذاك في العمارة الأيوبية، كانت أرضية المدرسة مرصوفة بالحجر الكلسي والبازلتي، وفق أشكال هندسية بديعة، أما الصالة الجنوبية للمدرسة فكانت تكوي محراب ومنبر وإيوان مركزي مفتوح بنوافذ تحوي قضبان معدنية يمكن من خلالها الاطلال على الحدائق المحيطة بالمدرسة، و أبرز خواص و ميزات المدرسة كان إيوانها الخارجي الشمالي، ويرجح أن المدرسة سميت بهذا الاسم الفردوس بسبب الحدائق المحيطة بها وجمالها أي الجنة [52]،إضافة للرأي القائل بأنها سميت كذلك نسبة للمكان الذي بنيت فيه وهو محلة الفردوس.

كما احتوت المدرسة على جدرانها كتابات باللغة العربية وتعد أطول كتابة عرفت في مباني ذلك العصر، يصل طولها إلى ٩٢م، ومكتوبة بنوع خط الثلث الجميل والواضح على الجدار الشرقي كتب اسم السيدة ضيفة خاتون أما باقي الجدران فكتب عليها كتابات دينية [53].

انشأت ضيفة خاتون في حلب مدرستين الأولى تدرس العلوم الشرعية على المذهب الشافعي، والثانية تعلم العلوم الشرعية تسمى خانقاه :

تعدّ مدرسة الفردوس من أهمّ وأعظم التجمعات العلمية والدينية في حلب في تلك المرحلة التاريخية وكان سبب بناء المدرسة خارج أسوار المدينة بسبب الازدحام، كان الهدف الأساسي لتأسيس مدرسة الفردوس تحقيق العديد من الأغراض الدينية والعائلية لأسرة الملكة ضيفة خاتون وكانت التربة التي وجدت في المدرسة من أجل دفن الملكة وعائلتها .

أما الرباط الملحق بالمدرسة كان بمثابة تكية يأوي إليها الفقراء والمحتاجين البناء الثاني خانقاه الفرافرة : هو تقريبا يعد مسجد صوفي بني في منطقة الفرافرة في مدينه حلب في عهد الملكة الأيوبية ضيفة خاتون، وكان هذا الخانقاه يحوي عددًا كبيرًا من المتصوفة والدراويش في مدينة حلب، وكان آنذاك يدعى الرباط الناصري [54] .

حوت هذه المباني الكثير من الزخارف التي بينت لنا تطور فن البناء والنحت في العصر الأيوبي كما تظهر حرص الملكة ضيفة خاتون على مدينتها وإظهارها بأبهى الصور، مثلاً استخدمت في بناء مدرسة الفردوس الواح رخامية متشابكة مقرنصات وقباب إلى جانب بعض أنواع الزخارف النباتية التي تعطي شعوراً بالراحة والهدوء [55].

وكانت العادة الدارجة آنذاك أنه عندما يتم افتتاح المدارس فإنه كانت تجري احتفالات رسمية يدعى إليها العلماء المسلمون من كافة أنحاء البلاد .

وبالعودة الى خانقاه الفرافرة فقد اشتهر محرابه الجميل وإيوانه الكبير، وكان مأوى للفقراء والمحتاجين كما كان به جناحٌ مخصّصٌ للنساء التي لم يكن لهنّ معيلٌ وللنساء الغريبات وللنساء الزاهدات يقدم لهن الطعام والمأوى ويحفظ لهنَّ حقوقهن، هذا الخانقاه كان يقع داخل باب الأربعين بمحلة تسمى محلة الفرافرة، ويعرف هذا الخانقاه باسم خانقاه ضيفة خاتون [56].

كان الخانقاه مخصصًا أيضًا للمتصوفة[57] الذين ينقطعون فيه للعبادة وكان هؤلاء رجال الدين وعلماء وفقهاء لذلك عدّ الخانقاه أيضًا مركزًا تعليميًا في العصر الأيوبي[58].

في عهد ضيفة خاتون اتخذت قلعة حلب بأسوارها وأبراجها وأسواقها شكلها النهائي:

في عهد الملك الظاهر غازي حلب، وخلال فترة حكمه قام بإعادة إعمار لقلعة حلب فمن المعروف أن قلعة حلب قلعة قديمة جدا أضاف لها الملك غازي هياكل جديدة أعطت القلعة شكلها الحالي وقام أيضا بتدعيم الجدران وزيادة عمق الخندق المحيط بالقلعة والذي كان يرتبط بقنوات المياه وأضاف أيضًا جسر ذا قناطر وهو اليوم مدخل القلعة[59].

خلال تلك الفترة والفترة التي تلتها تطورت قلعة حلب بشكلٍ كبير وأصبحت تشبه المدينة الصغيرة تضمّ داخلها عددًا من القصور والحمامات والأضرحة والمساجد كذلك المنشآت العسكرية التي كانت تعد من أجل التدريب وضمت ابراجا دفاعية للدفاع عن القلعة وتعد قلعة حلب من اقوى القلاع في عصرها لم تفتح أبدا إلا بالمكر و الخديعة.

تضم قلعة حلب العديد من المعالم التاريخية المهمة التي استمرت وحافظ عليها الأيوبيين بالرغم من تعرض القلعة للحريق، من هذه المعالم والآثار .

مسجد ابراهيم الخليل : وكان قبل أن يصبح مسجدًا كنيسة، تميّز هذا المسجد بمحرابه الجميل، و تذكر الأساطير المتداولة حول هذا الموضوع أن المسجد بني مكان صخرة كان النبي ابراهيم عليه السلام يجلس عليها ليحلب بقرته الشهباء، و تقول الأسطورة أيضا أن اسم حلب اليوم حلب الشهباء استمد من هذه التسمية[60].

الجامع الكبير : ويعود إلى حوالي القرن الثالث عشر الميلادي وهي الفترة التي حكمت ضمنها الملكة ضيفة خاتون في حلب، وللمسجد مئذنة مربعة الشكل يعتد تاريخها إلى عام ٦١١ هـ ترتفع هذه المئذنة حوالي ٢٠ متراً وكانت هذه المئذنة بسبب ارتفاعها تستخدم للمراقبة و إقامة الآذان .

قصر ضيفة خاتون في قلعة حلب : كان هذا القصر يتكون من طابقين، للقصر باب جميل تعلوه مقرنصاتٍ جميلة جدًا، كانت أرضية القصر مرصوفة بالمرمر الملون .

قاعة العرش: هذه القاعة رممت عدة مرات، في عام ٦٥٩ هـ غزا المغول حلب بقيادة هولاكو واحتلوها وخربوا اسوار القلعة ودمروا ابنيتها، حتى أخرجهم منها المماليك[61]، قام السلطان الأشرف خليل بن قلاوون بترميم القلعة ليعود تيمور لتلك ويدمرها مرة أخرى ويرممها الناصر ابن مرموق سنة ٨١٨ هـ [62] .

بشكلٍ عام نجد أن نساء الأسرة الأيوبية بشكلٍ عام ساهمنَ في بناء المؤسسات التعليمية من مدارس وربط وخانقاه وغيرها وكن يوقفن الأوقاف عليها.

ويمكن القول إنّ ما تمّ تجديده في عهد الملك الناصر يوسف الثاني من بناء للأبراج تم في عهد ضيفة خاتون من باب الأربعين إلى البرج الذي جدده الأتابك ويقع بين باب النصر وبرج الثعابين في الشمال الغربي من المدينة، كان لكل برج منها حصن مفرد وكان كل حصن له من الارتفاع والحصانة كما بنيت أبراج كبيرة من باب الجنان إلى باب قنسرين، هذه التجديدات في بناء القلعة أعطى لمدينة حلب قوة وقدرة على مواجهة الأعداء، ويقال إن سبب بنائه لها أن المغول عندما هاجموا حلب وحاصروها ثم غادروها من دون أن ينالوا مرادهم، عمل أهل حلب والملك الناصر على زيادة تحصين القلعة وبناء هذه الأبراج وبلغ عدد هذه الأبراج ما يزيد عن عشرين برجًا، ارتفاع كل برج أكثر من أربعين ذراع وعرضة بين ٤٠ إلى ٥٠ ذراع وبني في كلّ برج رواقات حجرية لتستر المحاربين والمدافعين عن القلعة من رماة السهم ورماة المنجنيق[63]

ومن تراث الأيوبيين في حلب وعاصر فترة حكم الملكة ضيفة خاتون على حلب قصر أو دار العز، أو دار الشخوص، ماتزال آثار هذا القصر موجودة إلى اليوم في قلعة حلب وتحدد فترة بناء هذا القصر حسب رأي أغلب المؤرخين في زمن الملك غازي خروج الملكة ضيفة خاتون وأن الملك غازي لما تزوج ضيفة خاتون في عام ٦٠٩ هـ، وأثناء حفل الزفاف فإنّ هذا القصر احترق واحترق كل ما يضمّه القصر من أوانٍ فاخرة ومجوهراتٍ وأثاثٍ كما أحرقت النار التي شيدت بالقصر ما يسمى (الزردخانة)، وهو مكان يوضع فيه السلاح أي دار السلاح، بعدها أمر الظاهر غازي بتجديد بناء القصر وتزيينه وبسبب استخدام التزيينات النباتية بشكلٍ كبير في تزيين القصر بعد ترميمه سماه الملك غازي دار الشخوص و الشخوص تعني الصور لكثرة ما ضمن القصر من صور نباتية[64]. .

خانقاه ضيفة خاتون او ما يسمى بالرباط الناصري : هذا الرباط أو المسجد صوفي يسمى خانقاه الفرافرة لوقوعه في منطقة تسمى الفرافرة في مدينة حلب يتألف هذا الرباط من مبنى كبير له مدخل مزين بالعديد من الزخارف الشرقية وكذلك زين المبنى بمقرنصات إسلامية تعود لعصور سابقة، بعد المدخل يصل الزائر إلى الفناء الرئيسي ويتكون الفناء المربع الشكل من نافورة متوضعة في وسط الفناء كانت هذه النافورة مخصصة ليستخدمها المصلين للوضوء هذا الفناء إلى الشرق منه يوجد ممشى أو ممر ضيق ليصل الزائر الى فناء آخر صغير يحيط به ايوان وثلاثة غرف كانت مخصصة للضيوف والزوار القادمين إلى الخانقاه وهناك درج في الجهة القريبة من الفناء الرئيسي توصل إلى السطح وعلى السطح بنيت العديد من الغرف لاستقبال الزوار والضيوف أيضا . وفي الجهة الجنوبية من الفناء الرئيسي للخانقاه يوجد محراب له قبة صنعت من الرخام .

وهذه القبة تحملها قاعدةٌ مثمنة الأضلاع والمحراب محاط بعمودين، اهتمّ البناء بتزيينهما ويعلوهما زخارف رخامية ملونة [65].

خاتمة البحث

كانت ضيفة خاتون واحدة من كثير من النساء المسلمات اللواتي ساهمت في احياء الدولة الإسلامية وحمايتها من الأخطار في وقت تكالب عليها الطامعين والمحتلين من مغول وصليبيين، في هذه الظروف الحالكة وقفت ضيفة خاتون وقفة عز وحمية وادارت دفة الأمور، وهزمت المغول ومنعهم من دخول حلب، كذلك رتبت ضيفة خاتون الكثير من الأمور و قوت مملكتها للوقوف في وجه الخطر الصليبي في الوقت الذي حكمت فيه حلب وصية على حفيدها الناصر، بل إنها بحسب ما يروي بعض المؤرخين وقفت إلى جانب زوجها الظاهر غازي قبل وفاته وكذلك إلى جانب ابنها العزيز محمد، ولم تدخر ضيفة خاتون جهدا في الحفاظ على مملكة حلب من الداخل والخارج، فبالإضافة لوقوفها ضد الأخطار الخارجية، قامت ضيفة خاتون بترتيب الوضع الداخلي وبناء المرافق العامة التي تعنى بشؤون المواطنين مثل الخانقاه وغيرها من الدور التي تهتم بشأن المواطنين، وعملت على بناء المدارس لدفع الحركة العلمية والثقافية في حلب إلى الامام، وكانت مدرسة الفردوس من أهم المدرس واعظمها في حلب في العصر الأيوبي . وما تزال حلب تحتفظ بالكثير من المباني الأثرية التي تحمل بصمة ضيفة خاتون.

الهوامش:

(1) تل باشر هي اليوم ضمن الأراضي الدولة التركية، وكانت آنذاك جزءًا من الامبراطورية البيزنطية و كانت تحت سيطرة أمراء الأرمن المحلية في أواخر القرن الحادي عشر .ثم كانت واحدة من المعاقل الرئيسية للصليبيين وجزءًا من الرها .بعد سقوط الرها على يد نور الدين الزنكي، أصبحت المدينة الرئيسية في ما تبقى من مقاطعة حتى تم بيعها في نهاية المطاف إلى الإمبراطور مانويل أي كومومينوس في 546 هـ .و سقطت بيد نور الدين خلال الفترة ذاتها، قلعة حصينة في سهل فسيح شمال الشام وهي على نهر الساجور بالقرب من عنتاب إلى شمال حلب.انظر، ابن كثير، البداية والنهاية،ج1،ص380

(3) عينتاب: وتبعد 96 كم شمال حلب، تركيا بعد معاهدة أنقرة 1920واحتلال سهول كيليكية قام البرلمان التركي بإضافة كلمة غازي لاسم المدينة، فأصبحت غازي عنتاب. وهي من المدن والاقليم السورية الشمالية التي ضمت إلى تركيا. انظر :غازي عنتاب". الموسوعة العربية الميسرة. موسوعة شبكة المعرفة الريفية.

(4) أبو الفتح وأبو الجود عماد الدين زنكي بن قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكي ت (400 هـ) المذكور قبله المعروف بصاحب سنجار؛ كان قد ملك حلب بعد ابن عمه الملك الصالح إسماعيل بن نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي، وكانت وفاة الصالح المذكور في سنة سبع وسبعين وخمسمائة وعمره تسع عشرة سنة .ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (ت ٦٨١هـ) وفيات الأعيان،تحقيق،احسان عباس،دار صادر،ط5، بيروت، 1994،ج2،ص330

(5) سنجار: مدينة عراقية ومركز قضاء تقع في غرب محافظة نينوى شمال العراق يحدها من الشمال ناحية ربيعة ومن الشرق قضاء تلعفر وغربها الحدود السورية ومن الجنوب قضاء بعاج (د . حسن شمساني , مدينة سنجار ص 13)

(6) الغزي، كامل بن حسين بن محمد بن مصطفى البالي الحلبي (ت 1351هجرية) نهر الذهب في تاريخ حلب، دار العلم،ط2، حلب، 1419هجرية، ج3، ص .90

(7) حَرَان أو حَارَان مدينة قديمة في بلاد ما بين النهرين تقع حالياً جنوب شرق تركيا عند منبع نهر البليخ أحد روافد نهر الفرات ذكرت في التوراة على أنها المدينة التي استقر فيها النبي إبراهيم بعد هجرته من أور .سميت عند الرومان باسم) كارهاي .(دخلها المسلمون عام639 م .تعد سهول حران من المناطق الزراعية الرئيسية في الجزيرة الفراتية، وهي مزروعة بالمحاصيل الحقلية) القمح والشعير (والأشجار المثمرة. (ياقوت الحموي , ت 626 هـ معجم البلدان ج2 ص235)

(8) الغزي، ت (1351 هـ) نهر الذهب،مصدر سابق، ج3،ص92

(9) ابن الوردي، زيد الدين عمر بن المظفر، ت (749 هـ) تاريخ ابن الوردي، دار الكتب العلمية،ط1،بيروت،1996،ج2،ص.168

(10) الذهبي، شمس الدين ابو عبد الله محمد بن احمد بن عثمان، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق، عمر عبد السلام التدمري، ط2، دار الكتاب العربي،بيروت،1993،ج43،ص.38

(11) ابن واصل، محمد بن سالم بن نصر الله بن واصل، ت (697 هـ) مفرج الكروب في اخبار بني أيوب، تحقيق، جمال الدين الشيال، دار الكتب والوثائق القومية، المطبعة الاميرية، القاهرة، 1956، ج2،ص111

(12) ابن الأثير، ابي الحسن علي بن ابي الكرم، ت (637 هـ) الكامل في التاريخ، دار الكتاب العربي،ط6، بيروت، 1986، ج12، ص313

(13) ابو شامة، عبد الرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم المقدسي الدمشقي، ت(665 هـ) الذيل على الروضتين، تراجم رجال القرنين السادس والسابع، تحقيق، عزت العطار الحسيني، دار الجيل،ط2، 1974، م3،ج5،ص145

(14) ابن الأثير، الكامل في التاريخ،ج12،ص313

(15) المصدر السابق نفسه، ج12،ص314

(16) ابن العديم، عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة كمال الدين ابن العديم، ت(660 هـ) زبدة الطلب في تاريخ حلب، تحقيق : سهيل زكار، دار الفكر، دمشق، 2016،ص485

(17) ابن العميد هو الكاتب محمد بن الحسين بن محمد أبو الفضل بن أبي عبد الله المعروف بابن العميد (970 هـ) لقب والده بذلك على عادة أهل خراسان في التعظيم،ولد في مدينة بخارى، برع في الإنشاء وتوسع في علم الفلسفة،من أهم مؤلفاته كتاب «بناء المدن» يشرح فيه ابن العميد أساليب البناء، والتخطيط العمراني. وهذا الكتاب في أغلب الظن موجود بنسخته الأصلية كمخطوطة في إحدى مكتبات المخطوطات العربية، والإسلامية في إسطنبول بتركيا،الصفدي،الوافي بالوفيات، ج2،ص.117

(18) أتابك لقب تركي أطلقه السلاجقة والمماليك على بعض رجال البلاط والوزراء والقادة. يعني القائد أو الحاكم العسكري.انظر:أحمد عبد الفتاح حسين، أتابك العسكر في مصر عصر دولة المماليك (648-923هـ /1250-1517م) -، رسالة ماجستير، جامعة الفيوم 2015م،ص121

(19) هو مُحدث وإمام حافظ ومؤرخ مسلم .جمع بين ميزتين لم يجتمعا إلا للأفذاذ القلائل في تاريخنا، فهو يجمع إلى جانب الإحاطة الواسعة بالتاريخ الإسلامي حوادث ورجالاً، المعرفة الواسعة بقواعد الجرح والتعديل للرجال، فكان وحده مدرسة قائمة بذاتها .والإمام الذهبي من العلماء الذين دخلوا ميدان التاريخ من باب الحديث النبوي وعلومه، وظهر ذلك في عنايته الفائقة بالتراجم التي صارت أساس كثير من كتبه ومحور تفكيره التاريخي، وقيل سُمي الإمام الذهبي بالذهبي لأنه كان يزن الرجال كما يزن الجواهري الذهبانظر تاريخ الإسلام، تحقيق د. بشار عواد معروف (بيروت : دار الغرب الإسلامي 2003 م) ط1، ص.21

(20) ابن العميد، جرجس ابن العميد، اخبار الايوبيين،ط1، القاهرة،1997،ص8،ص12

(21) ابن العميد، أخبار الايوبيين،مصدر سابق، ص10

(22) ابن واصل، مفرج الكروب، ج3،ص،241

(23) ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب، ج4،ص487

(24) ابن واصل، مفرج الكروب، ج3،ص237

(25) ابن واصل، مفرج الكروب، ج3،ص،273

(26) الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك، ت(764 هـ) الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد ارناؤوط، دار إحياء التراث، بيروت، ج16،ص190

(27) ابن العديم، زبدة الطلب في تاريخ حلب، ج3،ص225

(28) ابن واصل، مفرج الكروب، ج5، ص236

(29) ابن العديم، ت(660 هـ) زبدة الطلب في تاريخ حلب، ج3،ص238

(30) المصدر نفسه، ج3،ص242
(31) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج16،ص190
(32) السلاجقة: ينتمي السلاجقة إلى قبيلة قنق وهي إحدى العشائر المتزعمة لقبائل الغز التركية. دخلت هذه العشيرة في الإسلام أثناء عهد زعيمها ومؤسّس السلالة سَلْجُوق بن دُقَاق سنة 960م. دخلوا بعدها في خدمة القراخانات حُكَّام بلاد ماوراء النهر، وحازوا نفوذاً عالياً في دولتهم. ظهرت الدولة السَلْجُوقيَّة عندما قاد طغرل بك حفيد سَلْجُوق حرباً مع الدولة الغزنوية في إقليم خراسان الكبرى، تمكَّن على إثرها من انتزاع مدينتي مرو ونيسابور في عام 1037م، انظر: حسين امين، تاريخ العراق في العصر السَلْجُوقي - - مطبعة الأرشاد، بغداد، 1385 هـ/1965 م،ص59.
(33) ابن العديم، اسمه عُمَرُ بْنُ أَحْمَدُ بْنُ هِبَة اَللَّهُ بْنُ أَحْمَدُ بِنْ يَحْيَى بْنْ زُهَيْرْ بْنْ أَبِي جَرَادَةَ اَلْعَقِيلِي ولد في مدينة حلب في بيت عريق ألمّ أفراده بعناصر الثقافة فكان منهم الأدباء والشعراء والفقهاء والقضاة والعبّاد والزهاد. قال فيهم ياقوت الحموي: «وبيت أبي جرادة بيت مشهور من أهل حلب ... يتوارثون الفضل كابراً عن كابر وتالياً عن غابر».أما سبب تسمية العديم فذكره ياقوت في معرض حديثه من ابن العديم إذ قال: «سألته لم سميتم ببني العديم؟ فقال: ... هو اسم محدث ... لم يكن آبائي القدماء يعرفون بهذا». تلقى ابن العديم علومه الأولى على يد كبار شيوخ حلب ـ وكانت آنذاك غاصة بالعلماء والمدارس والمكتبات ـ وكان من أشهرهم، عبد المطلب الهاشمي، عمر ابن طبرزد، بهاء الدين يوسف بن رافع ابن شداد قاضي حلب، ثم رحل به والده في طلب العلم إلى القدس مرتين وكان عمره خمسة عشر عاماً، وزار دمشق أكثر من مرة وسمع بها عن كبار شيوخها مثل: أبي اليمن زيد بن الحسن الكندي والقاضي ابن الحرستاني والحسين بن صصري، كما رحل بمفرده أيضاً إلى العراق والحجاز طالباً العلم.انظر، منير البعلبكي، موسوعة المورد ابن العظيم عمر بن احمد، 1991،ص.170
(34) ابن العديم، زبدة الطلب في تاريخ حلب،ج3،ص239
(35) المصدر نفسه،ج3،ص.236
(36) جنكيز خان: هو مؤسس وإمبراطور الإمبراطورية المغولية والتي اعتبرت أضخم إمبراطورية في التاريخ ككتلة واحدة بعد وفاته. برز بعد توحيده عدة قبائل رحل لشمال شرق آسيا. فبعد إنشائه إمبراطورية المغول وتسميته «بجنكيز خان» بدأ بحملاته العسكرية فهاجم خانات قراخيطان والقوقاز والدولة الخوارزمية وزيا الغربية وإمبراطورية جين. وفي نهاية حياته كانت امبراطوريته قد احتلت جزءً ضخمًا من أواسط آسيا والصين انظر: محمد سهيل طقوش، تاريخ المغول العظام والإليخانيين، دار النفائس ط: الأولى، دمشق، 1996 ص:24-
(37) الدولة الخوارزمية: تعود أصول الدّولة الخوارزميّة إلى فرع من سلالة تركيّة، حكمت الكثير من الدّول الآسيويّة، بين عامي ألف وسبعمئة وسبعين، وألف ومئتين وعشرين ميلاديّ، وعُرفت عبر التاريخ بعدّة تسميات منها: خوارزمشاهيان، وشاهات خوارزم، والخوارزمشاهات، وكانت عاصمتها الأولى مدينة قونا أوركنش، ومن بعدها مدينة سمرقند، ووصلت حدود الدّولة حتى أصفهان وبلاد السند. ومن الجدير بالذكر أن دولة الخوارزميّين تميزت بمقاومتها وانتصاراتها المتعدّدة على الهجمات المغولية،انظر: النسوي: سيرة جلال الدين المنكبرتي- تحقيق حافظ أحمد حمدي- دار الفكر العربي- القاهرة- 1953،ص257
(38) ابن شداد، عز الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن إبراهيم الأنصاري الحلبي (ت ٦٨٤هـ)،الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام و الجزيرة تحقيق: يحيى زكريا عبارة، نشر وزارة الثقافة السورية،ط1،دمشق،1991،ج2،ص258
(39) ابن العديم، زبدة الطلب في تاريخ حلب، ج3،ص185
(40) ابن العديم، زبدة الطلب في تاريخ حلب، ج3،ص322
(41) الذهبي، تاريخ الإسلام،مصدر سابق، ج46،ص319
(42) ابن خلدون، عبد الرحمن بن بن خلدون (٧٣٢ - ٨٠٨ هـ)،العِبَر و ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر،تحقيق : سهيل زكار،ط1، دار الفكر، بيروت، 1401هجرية،1981م،ج1،ص232
(43) ابن العديم، زبدة الطلب في تاريخ حلب، ج3،ص270
(44) الذهبي، ت (748 هـ) تاريخ الإسلام،مصدر سابق، ج46،ص300
(45) المصدر نفسه،ج46،ص.301
(46) الخانقاه هو المكان الذي ينقطع فيه المتصوف للعبادة، اقتضت وظيفتها أن يكون لها تخطيط خاص، فهي تجمع بين تخطيط المسجد والمدرسة ويضاف إلى هذين التخطيطين الغرف التي يختلي أو ينقطع بها المتصوف للعبادة والتي عرفت في العمارة الإسلامية باسم الخلاوي .في العصر المملوكي اطلقت كلمة خانقاه على المجموعات الدينية الكاملة للسلاطين مثل خانقاه السلطان بيبرس الجاشنكير ومسجد الأشرف برسباي وضريحه بقرافة المماليك.
(47) ابن العديم، زبدة الطلب في تاريخ حلب،ج3،ص345
(48) سورة العلق الآية 1
(49) الريحاوي، عبد القادر، العمارة الإسلامية، ص139
(50) كفرزيتا مدينة سورية تقع إلى الشمال الغربي من مدينة حماة على بعد 38 كم تتبع منطقة محردة في محافظة حماة،تشتهر بزراعة الفستق الحلبي والبطاطا والزيتون الذي أخذت منه اسمها وقد وجدت فيها معاصر لزيت الزيتون تعود إلى العصر الروماني. والفستق الحلبي الذي انتشرت زراعته كثيرا بسبب أسعاره المرتفعة من جهة وملائمة التربة له من جهةٍ أخرى،
(51) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، ج1،ص.262
(52) الجاسر، لمياء، مدارس حلب الاثرية، تاريخها وعمارتها، دار الرضوان، حلب،2000،ص.211
(53) الريحاوي، عبد القادر، قيم عالمية، ج2،ص.378
(54) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج3،ص.201

(55) الغزي، نهر الذهب، مصدر سابق، ج4،ص219
(56) الغزي، نهر الذهب في تاريخ حلب، ص.289
(57) الصوفية أو التصوف هو مذهب إسلامي، لكن وفق الرؤية الصوفية ليست مذهبًا، وإنما هو أحد مراتب الدين الثلاثة) الإسلام، الإيمان، الإحسان(، فمثلما اهتم الفقه بتعاليم شريعة الإسلام، وعلم العقيدة بالإيمان، فإن التصوف اهتم بتحقيق مقام الإحسان، مقام التربية والسلوك، مقام تربية النفس والقلب وتطهيرهما من الرذائل وتحليتهما بالفضائل، الذي هو المرتبة الثالثة من مراتب الدين الإسلامي الكامل بعد مرتبتي الإسلام والإيمان، يُرجع الصوفية أصل التصوف كسلوك وتعبد وزهد في الدنيا وإقبال على العبادات واجتناب المنهيات ومجاهدة للنفس وكثرة لذكر الله إلى عهد رسول الإسلام محمد وعهد الصحابة، وأنه يستمد أصوله وفروعه من تعاليم الدين الإسلامي المستمدة من القرآن والسنة النبوية.،انظر: عبد السلام العمراني، الأقمار المشرقة لأهل الشريعة والطريقة والحقيقة، الناشر: دار الكتب العلمية،بيروت، 2018م، ص.50
(58) محمد، خير،رمضان، المرأة الكردية في التاريخ الإسلامي، ط1، دار القادري، بيروت،1992،ص.43
(59) شوقي، شعث، قلعة حلب،(دليل اثري تاريخي،)،وزارة الثقافة، دمشق، 1986، ص100
(60) جحا، فريد، ت(1426 هـ) قلعة حلب، مجلة العاديات، 1986، ص87
(61) المماليك، دَولَةُ المَمَالِيكِ هي إحدى الدُول الإسلاميَّة التي قامت في مصر خِلال أواخر العصر العبَّاسي الثالث، وامتدَّت حُدُودها لاحقًا لِتشمل الشَّام والحجاز، ودام مُلكُها مُنذُ سُقُوط الدولة الأيوبيَّة سنة 648 هـ المُوافقة لِسنة 1250 مـ، حتَّى بلغت الدولة العُثمانيَّة ذُروة قُوَّتها وضمَّ السُلطان سليم الأوَّل الديار الشَّاميَّة والمصريَّة إلى دولته بعد هزيمة المماليك في معركة الريدانيَّة سنة 923 هـ المُوافق لِسنة 1517 مـ.
(62) المرجع نفسه ،ص88
(63) ابن العديم، بغية الطلب، ج1،ص،33
(64) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج1،ص262
(65) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، ج1،ص264

المصادر

1- القران الكريم , سورة العلق , اية 1
2- الذهبي , شمس الدين أبو عبد الله محمد ابن احمد ابن عثمان , تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والاعلام , تحقيق عمر عبد السلام التدمري , ط2 , دار الكتاب العربي بيروت 1993
3- ابن الاثير , أبو الحسن علي ابن ابي الكرم , الكامل في التأريخ , دار الكتب العربي , ط6 , بيروت 1986
4- ابن خلدون , عبد الرحمن ابن خلدون , (732 – 808 ه) العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر , تحقيق سهيل زكار , ط1 , دار الفكر بيروت 1981 م
5- ابن الوردي , زيد الدين عمر ابن المظفر , تاريخ ابن الوردي , دار الكتب العلمية , ط1 , بيروت 1996
6- ابن العميد , هو الكاتب محمد ابن الحسين ابن محمد أبو الفضل ابن ابي عبدالله المعروف بأبن العميد , كتابه بناء المدن , شرح فيه ابن العميد أساليب البناء والتخطيط العمراني , المخطوطات الغربية والإسلامية , إسطنبول تركيا
7- ابن شداد , عز الدين أبو عبدالله محمد ابن علي ابن إبراهيم الانصاري الحلبي , ت 684 ه , الاعلاق الخطيرة في ذاكرة امراء الشام والجزيرة , تحقيق يحيى زكريا عبارة , نشر وزارة الثقافة السورية , ط1 , دمشق 1991 م
8- الصفدي , صلاح الدين خليل بن ايبك , الوافي بالوفيات , تحقيق ابن ارناؤوط , دار احياء التراث , بيروت
9- ابن العديم , عمر بن احمد بن هبة الله بن ابي جراد كمال الدين ابن العديم , زبدة الطلب في تاريخ حلب , تحقيق سهيل زكار , دار الفكر دمشق 2016
10- أبو شامة , عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي , الذيل على الروضتين , تراجم رجال القرنين السادس والسابع , تحقيق عزت العطار الحسيني , دار الجيل , ط2 , 1974
11- ابن واصل , محمد ابن سالم بن نصر الله بن واصل , مفرج الكروب في اخبار بني أيوب , تحقيق جمال الدين الشيال , دار الكتب والوثائق القومية , المطبعة الاميرية , القاهرة 1956
12- أبو ادهم عبادة بن عبد الرحمن رضه كحيله , العقد الثمين في تاريخ المسلمين

13- الغزي , كامل بن حسين بن مصطفى البالي الحلبي , ت 1351 ه نهر الذهب في تاريخ حلب , دار العلم , ط2 , حلب 1419 هجريه

14- الريحاوي , عبد القادر , العمارة الإسلامية خصائصها واثارها في سوريا , وزارة الثقافة والإرشاد القومي , دمشق 1979

15- احمد عبد الفتاح حسين , اكابك العسكر في مصر عصر دولة المماليك (648 ه الى 923 ه) رسالة ماجستير جامعة الفيوم 2015

16- الجاسر , لمياء مدارس حلب الاثرية , تاريخها وعمارتها , دار الرضوان , جلب 2000

17- شوقي , شعث , قلعة حلب (دليل اثري تاريخي) وزارة الثقافة , دمشق 1986

18- محمد خير رمضان , المرأة الكردية في التاريخ الإسلامي , ط1 , دار القادري , بيروت 1992

19- جحا , فريد , قلعة حلب , مجلة العاديات.